**المحاضرة الثامنة:المشكلات الابستمية في علم التاريخ:**

الإشكال: هل يمكن اعتبار التاريخ علما ؟وهل يمكن النظر إلى الدراسات التاريخية على أنها دراسات علمية تجريبية؟ وما هي أهم العوائق التي تحول دون تطبيق المنهج التجريبي على الحادثة التاريخية؟

**أولا:في مفهوم التاريخ.**

**لغويا:** يأتي التاريخ في اللغة بمعنيين:

1-تأريخ: وتعني الاعلام بالوقت

2-تاريخ:والتي تعود إلى المصطلح اليوناني istoria والتي تعني البحث عن الأشياء الجديرة بالمعرفة ،ثم سرعان ما تغير مدلولها وأصبحت تعني معرفة الأحداث التي رافقت نمو هذه الظواهر.

**لغويا:** التاريخ هو التريف بالوقت ،فهو فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت،ويطلق عليه بعلم الأخبار،حيث يقصد بالأخبار الحوادث البارزة .

يعنى علم التاريخ بدراسة الحوادث التاريخية ،والحادث هو كل ما يطرأ من تغير على حياة البشر مرتبط بزمكان معين ،بغية فهمها وفهم طريقة حدوثها ،والتحكم في عوامل حدوثها مستقبلا.

**ثانيا:تطور البحث التاريخي عبر التاريخ:**

مر البحث التاريخي بعدة أطوار منها:

**أ-اليونان:**

ظهرت في هذه المرحلة الأساطير والتي تعد البدايات الأولى للكتابة التاريخية ،والتي تتميز بامتزاج الخيال مع الحقيقة،يتم فيها تقديس الشخصيات والأبطال،مثلما نجده في إلياذة هوميروس والأوديسة،ومن أبرز المؤرخين نجد هيرودوت(484-425) الذي يعتبر من أوائل الذين كتبوا في التاريخ وحققوا فيه،حيث كانت أعماله عبارة عن تسجيل الأحداث التاريخية وتحديدا الحروب التي قام بها الاغريق آنذاك.

**ب –المرحلة الوسيطية:**

ارتبط البحث التاريخي في هذه المرحلة بالتفسيرات الدينية ،إذ تأثر للوهلة الأولى بالدين المسيحي، ويتميز التاريخ الديني بالبحث عن قصة الخلق ونشوء الأجناس وعادة ما يرجع الأحداث التاريخية إلى المشيئة الإلهية أو العناية الإلهية،وفي هذا يقول أوغسطين:'التاريخ مسيّر من الله وفقا لما يحلو له'،ومن أهم مؤلفاته:'مدينة الله'.

أما عند المسلمين فتطور علم التاريخ في توجهين اثنين:اتجاه علماء الحديث:الذي كان يهدف إلى جمع الأحاديث النبوية وتدوين السنة النبوية ،وعلى إثره ظهر منهج الجرح والتعديل،والاتجاه الثاني والذي يهتم بدراسة تاريخ الأيام والأنساب ،من خلال تدوين الأحداث السياسية وتطور الدول والمماليك ،ثم سرعان ما انتظمت الحادثة التاريخية ضمن ما يعرف ب'الدواوين التاريخية'،ومن أشهر المؤرخين البارزين آنذاك:ابن خلدون،ابن الأثير،الطبري وغيرهم.

أراد ابن خلدون أن يؤسس علم التاريخ على أسس علمية موضوعية بمنهجية مخالفة لما كان عليه سابقوه،فأشار أولا إلى وقوع كثير من المؤرخين في الأخطاء والأوهام ،نتيجة التشيع للآراء والمذاهب دون تحقق،والثقة العمياء بالروايات والناقلين دون تمحيص،فدعا إلى ضرورة النقد التاريخي،وفي هذا يقول:'إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول،وفي باطنه ظاهر وتحقيق،وتعليل للكائنات دقيق،وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق،فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق،وجدير بأن يعد في علومها وخليق".

**ج-المرحلة الحديثة:**

مع بدايات العصر الحديث تخلصت الكتابة التاريخية من التفسيرات الدينية وسرعان ما أضحت هذه الدراسات تتجه إلى العقلانية ،وتم إدخال مناج عديدة لضمان هذه العقلانية منها منهج الشك مع بودان،ومع مونتيسكيو تم تحرير التاريخ من سيطرة التفسيرات الميتافيزيقية واستبعاد دور المصادفة والحظ في التاريخ ،مؤكدا على وجود عوامل موضوعية تؤثر في الحوادث التاريخية مثل المناخ والموقع الجغرافي...الخ،كما قدم فولتير تصنيفات متعددة للتاريخ منها التاريخ السياسي والتاريخ العسكري والتاريخ الاقتصادي,....الخ،وسرعان ما تطور البحث التاريخي خاصة مع ماركس وانجلز وغيرهما.

**ثالثا:أهم المشكلات الابستمولوجية للدراسة التاريخية:**

تتميز الحادثة التاريخية بجملة من الخصائص تجعلها تنفلت من الدراسة العلمية التجريبية على خلاف المادة الجامدة،ومنها:

-أنها حادثة إنسانية معنوية أي أنها من صنع الانسان لا من صنع الطبيعة،فهي تخص الانسان دون سواه من الكائنات،جتى أن الحوادث الطبيعية لا يمكن أن تكون لها معنى إلا إذا كان لها تأثير على مستقبل الانسان ومصيره.

-حادثة ماضية لا يمكن ملاحظتها ولا التأكد من وجودها ولا التجريب عليها.

-حادثة فريدة من نوعها لا تتكرر ،مرتبطة بزمان معين ومكان معين.

-حادثة تخضع لإرادة الأفراد وحرياتهم وتنفلت من قيود الحتمية.

-حادثة تخضع لذاتية الباحث وايديولوجيته وأهوائه وميولاته.

كلها خصائص تجعل من الحادثة التاريخية أكثر تعقيدا ،وأكثر صعوبة في نطبيق المنهج التجريبي عليها.

**رابعا:تجاوز العوائق:**

سرعان ما تم تكييف خطوات المنهج العلمي مع خصائص الحادثة التاريخية لتجاوز عديد العوائق،وحتى تصبح الدراسة التاريخية أكثر علمية وموضوعية:،ومن بين خطوات المنهج التاريخي نجد:

-جمع المصادر ونقدها بهدف التأكد من صحتها.

-تحليل المصادر ونقدها.

-تركيب الحوادث التاريخية وإعادة ترتيبها وتصنيفها.

**خامسا:الانفتاح على العلوم المساعدة:**ومن بين العلوم التي ساعدت علم التاريخ في التطور نجد على سبيل الذكر:

**-علم الاجتماع:**حيث يزود المؤرخ بتاريخ النظم الاجتماعية وطبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة داخلها وعوامل التغير الاجتماعي.

**-علم السكان:** الذي يهتم بدراسة أحوال الشعوب وتكوينها وتوزيعها والمتغيرات التي تؤثر فيها والعلاقة بين السكان والعوامل الأخرى المؤثرة في الأحداث التاريخية.

-**علم النفس:** الذي يساعد في فهم الطبيعة النفسية للإنسان والحاكم والمحكوم والعوامل المؤثرة فيه.

-**الفنون:**معرفة المؤرخ بالفنون المتنوعة من رسم وتصوير ونحت وعمارة تساعد بشكل كبير على معرفة تاريخ الأفراد والمجتمعات والحضارات.

**سادسا:أهمية علم التاريخ:**

لخصها ابن خلدون في قوله:'اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد،شريف الغاية،إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم،والملوك في دولهم وسياستهم...إن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال،وتشد إليه الركائب والرحال،وتسمو إلى معرفته السوقة والأغفال،وتتنافس فيه الملوك والأقيال،ويتساوى في فهمه العلماء والجهال".